النّساء وآداب حسن السّلوك عند العرب من خلال كتب الأدب

هاجر الحرّاثي

الإطار العامّ للدّراسة

لعلّ أهمّ ما نبّهتنا إليه الدّراسات الاجتماعيّة والأنثروبولوجيّة الحديثة يتمثّل في أهميّة دراسة الحياة اليوميّة للأفراد ١ فهي ليست تافهة لا جدوى منها كما كان ينظر إليها ممّا يبرر انصراف النقّاد والباحثين في الأدب والتاريخ عنها وتوجيه اهتمامهم كلّه إلى الشّعر والخطابة والفقه والوصايا والأمثال وغير ذلك ممّا تزخر به مصادر التراث من الآداب والفنون ...

ورغم أهميّة ما توصّلت إليه هذه البحوث من نتائج مهمّة اتّصلت بالتّراث العربي لغة وأدبا وثقافة، فإنّ لفت النّظر إلى تفاصيل الحياة اليوميّة عند العرب قديما والإقبال علي ما فيها من أنساق٢ بالبحث والاستقصاء قد أفضى بدوره إلى نتائج لافتة للنّظر لأنّ ذلك استوجب العودة إلى الأصول وإعادة قراءة التّراث ومراجعة الكثير ممّا علق به من الأحكام المسبقة والمواقف المتعسّفة٣، "ففي اليومي بكل تمظهراته المتعدّدة السلوكية والتواصلية مع الآخر ومع الفضاء يتموضع موضع الرمز الذي يحيلنا لا فحسب إلى موقع الفرد أو الجماعة ، بل أيضا تستفزّ وتثير تمظهرات اليومي الذاكرة الجماعية٤

لذلك ارتأينا أن ننتبّع تفاصيل الحياة اليومية للنّساء في كتب الأدب إلى نهاية القرن الثالث الهجرى٥ . وأن نستقصي سلوكهنّ وأنشطتهنّ القوليّة والفعليّة في الفضاءات التي عشن فيها وتفاعلن معها فلفتت انتباهنا جملة من الممارسات التي كنّ يلتزمن بها بوعي وبغير والتي كانت ناجعة نجاعة كبرى في تنظيم حياتهن الاجتماعيّة وتسيير تفاعلهن مع الآخر. فارتأينا دراستها والبحث في أبعادها ورمزيتها متسلحين بمنهج تتقاطع فيه اختصاصات عديدة وحقول ومقاربات متنوعة عمدنا إلى المراوحة في التوسّل بها كلّما دعت مادّة البحث إليها ولعلّ أهمّها: يتمثل في علمي السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا بمختلف فروعهما.

وبجرد هذه الممارسات وبالتمعّن في الأخبار التي نقلتها شدّ انتباهنا أمران: تمثلّ أوّلهما في انتظام هذه الممارسات وتكرارها في الحياة اليوميّة للنّساء واتّصل ثانيهما بالطاقة الرمزيّة التي تكتنفها. فهي ممارسات مشحونة بالرّموز والعلامات الدّالة المؤسّسة للسّلوك الاجتماعي والمسيّرة لعملية التفاعل وفق ثنائيات حاسمة في الفصل بين ماهو لائق وما هو غير لائق. وبالنظر إلى ما وسمت به هذه الممارسات نظرة انثروبولوجية وبالتأمل في تكرارها وانتظامها ونجاعتها نتبين أنها ليست ممارسات عشوائية وإنّما هي طقوس٦ وسمت حياة النّساء قديما ووجّهت تفاعلهنّ ونظّمته تنظيما فعليّا ورمزيا.

في هذا الإطار تتنزّل دراستنا لآداب السّلوك لدى النّساء في التّراث العربي باعتبارها طقوسا منظّمة مكرّرة ورامزة. وقد رأينا تقسيم العمل قسمين أساسيين عالجنا في القسم آداب السّلوك من حيث المفهوم والمقاربة ومبررات دراستها باعتبارها طقوسا وذلك انطلاقا من أنموذج طقوس الضيافة، لأنه بدا لنا جمّاع قواعد وآداب سلوك. أما القسم الثاني فقد عقدناه للبرهنة على طقسنة أداب السّلوك لدى النّساء وللحفر في رموزها وأبعادها.

١) آداب السلوك: حيثيات المفهوم والمقاربة وعلامات الطقسنة:

أ- آداب السلوك: حيثيات المفهوم:

تتصدّر كلمة "آداب" جمع "أدب" المصطلح الذي نشتغل عليه. وفي اللّغة سمّي الأدب أدبا لأنه "يأدب النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح"٧ أماّ في كتب التّراث فلئن تعدّدت السّياقات التي ذكرت فيها عبارة آداب٨ فإنّ الذي يجمع بينها كلّها إحالتها إلى جملة من القواعد والمعايير الهادفة إلى تقعيد سلوك فئة معينة٩ وذلك بتمييز الحسن والحميد والمقبول من السيئ المرفوض منها١٠ ممّا يؤدي إلى احترام النّفس واحترام الآخرين وحسن التعامل معهم"١١

وبالتأمّل في المصادر نفسها نظفر بعدد كبير من العبارات المقعدّة للسّلوك

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤدّية إلى المعنى نفسه الذي نجده في لفظة"آداب" من قبيل الكياسة واللّياقة والتّهذيب والظّرف وحسن التّناول١٢ وهي كلّها معايير وقواعد منظّمة لسلوك الأفراد في مجمل أنشطتهم مثل النّوم والأكل والتّهادي والصيد والسفر... وعندما ندقّق النّظر في هذه الممارسات نتبيّن أنّها أنساق وأنظمة تشترك كلّها في تكرارها بتكرار السّياق الذي يستحضرها من ناحية وفي وظيفتها التهذيبية من ناحية ثانية "لأنها تقوم بـ "توجيه السّلوك البشري ومراقبته والتحكّم فيه على نحو إلزامي إكراهي"١٣. لذلك يعتبرها دومينيك بيكار Dominique Picard أشهر منظري آداب السلوك في العصر الحديث مظهرا من مظاهر " مأسسة الحياة الاجتماعية من خلال تنظيم علاقاتنا بالآخرين وبالأماكن والأحداث لتكون الحياة الاجتماعية بمثابة المشهد المسرحي حيث يكون لكلّ ممثل دوره فيه"١٤

ب - آداب السلوك حيثيات المقاربة:

لمعظم الدراسات التي اعتنت بآداب السلوك مرجعيّات اجتماعية وانثروبولوجية إذ اندرجت ادراستها لآداب السّلوك ضمن مرحلة من مراحل الاهتمام بالطقوس١٥ ونعنى المرحلة التي درست فيها الطقوس باعتبارها ظواهر دنيوية فتمّ التعامل مع هذه الآداب باعتبارها طقوسا اجتماعية١٦ بسبب ما لوحظ فيها من أنساق يومية daily systems " تقوم على قواعد مكرّرة منظّمة لها قيمة تأسيسيّة كما أبرز لنا ذلك بيار بورد Pierre Bourdieu في مقاله Les rites comme actes d'institution١٧ منبّها إلى ما تؤديه هذه الطقوس من وظائف واقعية رمزيّة لعلّ أهمّها تأسيس الفروق والتوجهات وإثبات المنزلة الاجتماعيّة للأفراد وتراكم التميّز والتّمايز لديهم.

ولئن تناولت البحوث التي انشغلت بآداب السّلوك والطقوس الرّامزة إليها فإنّ أهمّ القضايا التي طرحتها تتّصل بديناميكيتها واختلافها باختلاف الأمكنة والأزمنة١٨ إذ" لا توجد مدوّنة عامّة لآداب السّلوك يمكن الرجوع إليها باعتبارها نظاما عالميا. بينما توجد معايير ومدوّنات سلوك مختلفة تختلف فيها المثل والممارسات من ثقافة إلى أخرى"١٩ . غير أنّ إرفنج قوفمان Erving Goffman نبّها بالتأمّل في أنساق الحياة اليومية٢٠ للأفراد نبّهنا إلى أنّ هذا التّغير لا يشمل وظائف آداب السلوك وإن شمل بعض تفاصيلها المخصوصة لأنّ هذه الآداب" تستمرّ في أداء وظائفها في التّواصل والتفاعل الاجتماعي " the traffic rules of social interaction " وهي قواعد بمثابة الأدلة guides التي تؤدي إلى الانتظام الازم للسّلوك وإلى تكراره للحفاظ على نظام اجتماعي معين" ٢١

وعلى هذا الأساس تكون الحياة اليومية بحسب مدرسة التّفاعل الرمزي بصفة عامّة وقوفمان بصفة خاصّة حياة مطقسنة لأنّ الأفراد المتفاعلين فيها والذين هم في حالة مواجهة وتفاعل يؤدون أدوارهم و يتصرّفون بوعي وبغير وعي وفق الطقوس المنظمة لتفاعلهم وذلك في إطار مرجعيّة معياريّة تميّز بين ضربين من الطقوس السلبيّة والايجابيّة٢٢. وفي ضوء التفاعل ووفق هذين النوعين من الطقوس تُعرض الذوات٢٣ وتُبنى الشّخصيات الاجتماعيّة للأفراد لأنّها طقوس لياقة وآداب سلوك نبّهنا دومينيك بيكار Dominique Picard ٢٤ إلى دقّة دورها في" تدجين الجسد وتثقيفه ومراقبة العنف واحتوائه إلى جانب الحفاظ على الواجهة "٢٥.

ونحن في هذا العمل واستئناسا بهذه المقاربات نقبل على الحياة اليومية للنساء كما نقلتها لنا كتب الأدب وذلك بالجمع أولا ثم البحث والتنقيب لاستقصاء الممارسات والطقوس الدّالة على قواعد اللّياقة وآداب السّلوك باعتبارها أنساقا دالّة وللبحث في رمزيتها وأبعادها.

ج - في علامات طقسنة آداب السلوك لدى النّساء : آداب الضّيافة أنموذجا

تعجّ مصادر الأدب بالنّصوص المتفرّقة الدالّة على التزام النّساء بجملة من القواعد والسّنن التي كنّ يضبطن بها تفاعلهنّ مع الآخر، ويسيّجن بها أقوالهنّ وأفعالهنّ ومجمل ممارساتهنّ في حياتهنّ اليوميّة. و بتسليط الضّوء على أهمّ هذه الممارسات بدا لنا خيط ناظم يجمعها وسياق اجتماعيّ بعينه يستحضر أغلبها ويتمثل هذا السّياق الاجتماعي في الضيافة. إذ لا نكاد نجد بيتا من البيوت العربيّة بصفة عامة وبيوت النّساء بصفة خاصّة إلا قد استقام فضاء ملائما للاستضافة وفق أنظمة قولية وقواعد سلوكيّة تجسّمها وتنظّمها.

وبتفحّص هذه الأنظمة التي انخرط فيها النّساء كلهنّ باختلاف انتماءاتهنّ وتباين مراتبهنّ الاجتماعيّة بدت لنا

الضيافة بنية كليّة تتكوّن من بنى فرعيّة مثل الدّعوة والاستقبال والإطعام والمحادثة والانصراف ... وعندما دقّقنا النّظر في هذه البنى الفرعية اتّضح أنّها بدورها عناصر نسقيّة فرعيّة تتكوّن من جزيئات أخرى على غرار ما في الاستقبال باعتباره من طقوس الضيافة من طقاسم جزية مثل طقوس ترتيب فضاء الاستقبال وطقوس الحجابة وطقوس الإذن....

ولعلّ ما في هذه البنية ما يبرّر اختيارنا للضيافة أنموذجا ندرس من خلاله طقوس آداب السّلوك لدي النّساء لأنّها بدت لنا مؤسسة اجتماعية جمّاعة لأشكال متتالية منظّمة متناسقة من الممارسات والمراسم الدّالة . فعلى هذا الأساس البنيوي تعاملنا مع الضيافة لدى النساء باعتبارها هيكلا ومؤسسة اجتماعية تعجّ بالتفاعل وتحتشد فيها أنماط السلوك والممارسات المشحونة بالرّموز الدّالة على آداب السلوك. ولعلّ أهم هذه الممارسات ما يمكن تصنيفه ضمن ثلاثة أنساق رامزة تمثلّ ثلاثة مراحل وبنى مستقلة بذاتها وتكوّن مجتمعة طقوس الضيافة ، وتتمثلّ هذه الأنساق في: آداب السّلوك في طقوس الاستعداد واستقبال الضّيف أولا، آداب السّلوك في طقوس المحادثة والجلوس إلى الضّيف ثانيا، آداب السلوك في طقوس الهبة والعطاء للضيف ثالثا.

٢) في طقوس آداب الضيافة لدى النّساء ورمزيتها:

أ- في طقوس الإعداد للضيافة:

نقبل على ما استخرجنا من نصوص واصفة لمقامات الضّيافة لدى النّساء متسلّحين بأدوات الرمزية الاجتماعية[٢٦] لا سيما أهمّ فروعها المتمثلة في التفاعلية الرمزية التي نبهتنا إلى مفهوم التقنّع ومسرحة االحياة اليومية فتعامل مع الضّيافة باعتبارها "دورا من الأدوار الاجتماعيّة التي تؤديها النّساء اللاتي نعتني بهنّ آداء دراميّا "[٢٧] وبحسب نظريّة التّفاعل يتطلّب هذا الآداء من الفاعلين "جهدا وطاقة لا بدّ من استثمارها لآداء الدور على الوجه الأكمل من أجل تمييز أنفسهم على الآخرين"[٢٨] لذك نجد النّساء حريصات على تمثّل القواعد والمعايير اللازمة في مجمل مراحل الضيافة لاسيما هذه المرحلة المتمثلة الإعداد لآداء الدور على الوجه الأكمل. وبالتأمل في هذه المرحلة بحسب ما تكشف عنه النصوص التي بين أيدينا نتبّين أنها بدورها تتكوّن من طقوس تنقسم بدورها إلى مراحل متتالية تمثّل مجتمعة مجمل مراحل طقوس الاستعداد للضّيافة وتتمثّل أهمّ هذه المراحل في: دعوة الضيف أولا والاعداد لاستقباله قبل الاذن بدخوله ثانيا.

أ- ١ طقوس دعوة الضيف:

رغم ما تكشف عنه النّصوص من غياب الدّعوة في بعض سياقات الضّيافة لدى النساء إذ تتمّ الزيارة دون دعوة استزارة وتعلم الواحدة منهن بضيفهاعند قدومه بيتها وطرقه بابها، فإنّ في تداول هذا السّلوك في بقيّة الضيافات وفي انتظامه وتكراره ما يجعله في نظرنا طقسا أساسيا من طقوس الضيافة.

وبالنّظر في مجموع دعوات الضّيافة الصادرة عن النّساء وبالتّأمّل في ما تضمّنت من إشارات إلى طرائق النّساء وأساليبهن في دعوة ضيوفهن، نتبيّن أنّ هذه الدّعوات يمكن أن بطريقة مباشرة، مثلما فعلت هند بنت كنانة عندما "سألت ابن محرز أن يجلس لها ولصواحب لها[٢٩]، ومثلما فعلت جميلة عندما قالت لعمر بن أبي ربيعة "إنّي جالسة لك ولأصحابك وإذا شئت فعد النّاس لذلك اليوم"[٣٠]. وقد تكون الدعوة من خلال رسالة مكتوبة أو شفوية يحملها رسول ترسله[٣١].

ومهما اختلفت رسائل الدّعوة شفويّة أو مكتوبة نثريّة ٣٢ أوشعريّة ٣٣، فإنّها تشترك في ما تعمد إليه المستضيفة من التّصريح بغرضها من الدعوة مشيدة بنفاسة ما ستعدّ للضيف مذكرة بمكانته عندها فقد دعت حمنة المأمون قائلة" إن أحببت حمنة أجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قطّ وأصدتك صيدا لم تصد مثله قطّ وأسقتك شرابا لم تشرب مثله قطّ[٣٤] وأتبعت عريب دعوتها عليا بن الجهم قائلة " حتّى أغنيك أنا وجواري وأبعث إلى من أحببت من إخوانك"[٣٥]. أما بنت عبد الملك ابن مروان فقد أرسلت إلى عمر بن أبي ربيعة : "هل لك في محادثة أحسن النّاس وجها وأتمّهم خلقا وأكملهم أدبا وأشرفهم حسبا"[٣٦]

ولا تتّفق جميع الدّعوات من حيث عدد المدعوّين، إذ قد تتعلّق بعض الدّعوات بشخص واحد معيّن مثلما فعلت عائشة بنت طلحة عندما دعت النميريّ"[٣٧] ومثلما خصّت عليّة إسحاق الموصليّ بدعوته إلى مجلسها، كما يمكن لبعض الدّعوات الأخرى أن تكون عامّة مثلما فعلت جميلة عندما قالت لآذنتها" لا تحجبي عنّا أحدا اليوم واقعدي بالباب فكلّ من يمرّ بالباب فأعرضي عليه مجلسي"[٣٨]. وفي

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

مجمل الحالات تحيل الدعوة على رغبة المستضيفة في التواصل وبناء العلاقات مع الآخر إنها دعوة إلى التفاعل بصرف النظر عن نوعه وغاياته.

أ- ٢ طقوس الإعداد لاستقبال الضّيف:

نعني بطقوس الإعداد لاستقبال الضّيف مجمل ممارسات التحضير وأنشطة التهيئ السّابقة للقاء الضيف. وباستقصاء ممارسات النّساء المستضيفات في هذه المرحلة من مراحل الضيافة تبيّنا الأهمية الكبرى التي أولينها لها مهما اختلفت منازلهنّ الاجتماعيّة ومهما كان نوع الضيافة بدعوة أو بغير دعوة٣٩ إذ تعتبر لحظة استقبال الضيف بحسب نظرية المسرحة لحظة حاسمة لأنها تجسّد بدء المواجهة وعرض الذات لذلك تسبق هذه اللحظة بممارسات عديدة وطقوس معينة يقوم بها الأفراد المتفاعلون قبل الظهور أمام الآخرين والتي من شأنها أن تؤثر فيهم وتوجّه مشاهدتهم لكل ما يتعلّق بالمستضيف.

وعندما أنعمنا النّظر في هذه الممارسات السّابقة لوضع المواجهة متسلحين بما توصّل إليه قوفمان في نظرية المسرحة بدت لنا بمثابة الكواليس في المسرحية حيث يحرص النّساء على انتقاء ما يردن عرضه للمشاهدة من قبل الضيف سواء اتّصل ذلك بالفضاء الذي ستتم فيه العملية التفاعلية أو بمظهرهن لا سيما أجسادهن باعتبار أنّ الجسد خزان رمزي عبره تبلور الذات الانسانية انجازاتها حسب السيّاقات التي تتحرّك في كنفها٤٠.

وفي الحالتين تكون الأشياء والممارسات المشاهدة أدوات " فعالة في يد الفاعلين الاجتماعيين، أدوات يتلاعبون بها ويستعملونها لتخدم مصالحهم واحتياجاتهم الآنية أو البعيدة الأمد، أدوات يستثمرونها ويراهنون من خلالها وبها على تقلّد مكانة اجتماعية من خلال الإبقاء على العلاقات القائمة أو التخلي عنها أو نسج علاقات جديدة، إنها أداة لحفظ الوضع الاجتماعي السائد مع محاولة تغييره"٤١

وتكشف ممارسات الإعداد لاستقبال الضيف عن ترسّخ تقاليد واضحة في آداب اللّياقة وحسن السّلوك المتّصل باستقبال النّساء ضيوفهن. وبتدقيق النظر في هذه التقاليد تبيّنا أنّها مجموعة طقوس تكوّنت بدورها من طقاسم فرعيّة إلاّ أنّ أهمها طقسان: يتّصل أولهما بفضاء الضيافة الذي وجب ترتيبه هندسه وثايهما بمظهر صاحبة الضيافة وقد وجب تشكيله كذلك بعلامات وممارسات فعلية ورمزية للفت نظر الضيف وافتكاك اعترافه مثلما حصل مع عبد الله بن جعفر مثلا وقد أصيب بالدهشة عند دخوله بيت جميلة ونظره إلى "ذلك الحسن البارع والهيئة الباذّة فأعجبه ووقع من نفسه فقال يا جميلة لقد أوتيت خيرا كثيرا ما أحسن ما صنعت... فتجيبه يا سيّدي: إنّ الجميل للجمال يصلح"٤٢

• في تخطيط فضاء الضيافة وهندسته

لا يدلّ الفضاء في المفهوم السيميائي "على نفسه بل على غيره، على شيء آخر عداه أي الإنسان الذي يشغله. معنى ذلك أنّ الفضاء كشكل هو لغة تحيل الباحث إلى ما هو غير فضائي"٤٣ ولئن قدم دومينيك بيكار آداب السّلوك على أنّها "دليل أفعال وأقوال تساعد الفاعل الاجتماعي على تخفيف المخاطر ودعم الربح في التفاعل الاجتماعيّ" ٤٤ فإننا بتأمّل ممارسات النّساء في إعداد فضاءات الضيافة لاحظنا ما يشبه الوعي بهذا الأمر بسبب ما لمسنا لديهن من حرص على أن يوسم فضاء الاستقبال بالكمال المتأتي من الجمع بين الجمال من ناحية والنظام والترتيب من ناحية ثانية. فهذا الكمال عتبة هامة تيسر التواصل وتمأسس اللقاء فتؤدي الضيافة وظيفتها بنجاعة ونفهم هذا الحرص خاصّة من وصف بعض الضيوف لهذه الفضاءات. يقول كثيّر عن مجلس لبثينة: "ما رأيت مجلسا قطّ أحسن من ذلك المجلس"٤٥ أمّا المأمون لمّا دخل على حمنة، "أقبل يتأمّل الفرش والدّار ويعجب بذلك إعجابا شديدا"٤٦.

ولنا هنا أن نتخيّل الشكل الذي أعدت به حمنة بيتها ممّا جعل المأمون وهو من هو يعجب بما حضرت وجهزت لاستقباله٤٧ ولعلّنا نجد في ما توصّل إليه مارسيل موس في دراسته للهبات ما يفسّر هذه المبالغة في الانفاق استعدادا لاستقبال الضيف لأن من "يخسر يربح على حد قوله "فإذا ما خسرت حمنة مادياً بما أعدّت به لاستقبال ضيفها فإنّ ما ربحته لا يقدّر بثمن إنّه صورتها ومكانتها عند الخليفة الذي سيتزوجها لاحقا. وهكذا تمنح هذه الآداب والطقوس الفاعل الاجتماعي "سلسلة من الاستراتيجيات التي تكون نوعا من السيناريوهات الأساسية في تعديل العملية التفاعلية"٤٨. وبالنظر في مجموع النصوص التي نظفر فيها بممارسات

تتصل بتشكيل الفضاء وإعداده بما يضمن حسنه وجمال هيئته نتبين جملة من طقوس اللياقة تتمثل في الممارسات التالية:

~ تزيين الفضاء بالورود والرياحين يقول الموصلي واصفا بيت بوران لما استضافته كان في "وسط مجلسها من صنوف الرّياحين وغرائب الفواكه أره، اجتمع لأحد"٤٩. ولمّا دعت عائشة بنت طلحة "نسوة أجلستهنّ في مجلس قد نضد فيه الرّيحان"٥٠.

~ تعطير الفضاء بالطيب والبخور ممّا يجعلّ أول ما يصفه الدّاخل إلى بيت الواحدة منهنّ طيب رائحته يقول أبو الحسن الببّغاء "دخلنا معها فإذا رائحة طيّبة ومجلس قد أعدّ ونضد"٥١. وقد عطّرت حمنة بيتها"بالمسك والعنبر والكافور والزّعفران والندّ والعود مصفوفا في أواني الذّهب والفضّة وهي تفوح منها روائح لا يدرى ما هي من طيبها"٥٢، أمّا في بيت بوران فكانت الوصائف "يتساعين في أيدي بعضهنّ الشّمع وبعضهنّ المجامر يسجر فيها العود والندّ."٥٣

~ ترتيب الكراسي والوسائد والمفروشات تكشف فضاءات استقبال الضّيوف عن تدبر وإعداد مسبق من قبل المستضيفات لطرق توزيع ضيوفهن في فضاء الاستضافة، ويتّضح ذلك من خلال ترتيب المكان ترتيبا معينا فلمّا علمت زوج الوليد بضيوفها "أمرت بفرش لها وجلست"٥٤ هي غالبا ما تحدّد مقعدها ومقاعد ضيوفها، يقول أحد الضيوف "جلسنا على وسائد قد ثنيت لنا"٥٥ ويقول آخر "دخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحّبت وحيّت وإذا كراسي موضوعة فجلسنا جميعا في صف واحد كلّ إنسان على كرسيّ٥٦.

وتحرص صاحبة المجلس، على أن تكون هذه الكراسي، وفق ترتيب وتنظيم فيهما تناسق وانسجام، "فقد أمرت جميلة جواريها فقمن على كراسي صغار فيما بين كلّ عشر نفر جارية تروّح٥٧، كما دعت في مجلس آخر لكلّ جارية بعود "وأمرتهنّ بالجلوس على كراسي صغار قد أعدّتها لهنّ٥٨.

وعندما نمعن النظر في هذه الطقوس وفي ما فرش ونضد في الفضاء من أشياء مادية ولكنها رامزة، نتبين استرتيجية واضحة في حسن الظهور وإبهار الضيف فقد جلست حمنة على "فرش أرمنيّ منقوش باللآلي وإذا فوق الأرمنيّ مطارح من الدّيباج الأخضر حشوها حواصل الرّيش"٥٩ مما جعل المأمون يقول: "يا يحيي ما ملك أحد من الخلفاء مثل هذا البيت. هكذا تحوّل منزلها إلى متحف اجتماعي لا يحكي الآن وهنا فحسب بل الذي كان ولم ينجح الآن في إقصائه أو صنع القطيعة النهائية معه"٦٠ بسبب ماعمدت إليه من تكييف لفضاء الضيافة تكييفا جماليا وسلوكيا لتقديم صورة عن أنفسها لضيفها.

هذا إلى جانب ما نتبينه من طاقة رمزية في طريقة ترتيب الكراسيإذ يحيل تصفيفها على ما يميز الضيوف من تراتبية اجتماعية وهنا تتكشف لنا ثنائية رامزة تكتنفها فضاءات الضيافة وهي ثنائية الجمع والفصل فالمكان يجمع الجميع لكن طريقة إجلاسهم تفصلهم جغرافيا واجتماعيا، لما دخل إبراهيم بن المهديّ على الخيزران "وجدها على نمط أرمنيّ والنّمط على بساط أرمنيّ وعن يمين البساط ويساره نمارق أرمنيّة وعلى أعلاه نمرقة فيها زينب بنت سليمان بن علي وعلى سائر النّمارق أمّهات أولاد المنصور والمهديّ والهادي"٦١.

كما يثبت ترتيب الفضاء على شاكلة معينة امتلاك المستضيفات لرأسمال رمزي كما ضبط لنا بيار بورديو Bourdieu معناه وطرق اكتسابه باعتباره رأس مال من الشرف والهيبة٦٢ فشكل الفضاء الذي تتحرك فيه المستضيفات مؤشّر مادي رامز إلى مكانتهن وموقعن داخل أنظمتهن وهو رأسمال لابد من احترمه عند البروز من خلال قواعد صارمة تتّصل بأمكنة الجلوس وأشكالها وبعد مسافتها أو قربها من المستضيفة ولكلّ ذلك أبعاد رمزية دالّة على المكانة والمنزلة الاجتماعية وعلى تمثيل السلطة من خلال إجلاس الضيوف حسب مراتبهم الاجتماعية لأنّ الاجتماعي لا يفهم في معناه الموضوعي بل "في المعنى المفكّر فيه ذاتيّا من قبل الذين يؤدّونه وشاغلو الفضاء بهذا المعنى هم فاعلون يحتكمون على هويّة ومخزون ثقافي يموضعهم جماعيّا ويمارس عليهم إكراهات تنعكس في فعلهم مثلما في تمثّلاتهم، لكنّهم في ذات الوقت يوظّفون مخزونهم بصفة واعية، وفق استراتيجيات فعل ملائمة لتجسيم أهدافهم ٦٣.

• في تشكيل الجسد قبل الظهور

تتّصل طقوس الظهور بحسب علم اجتماع الجسد٦٤ بما هو وثيق الصلة بالسّمات الجسديّة للفرد وبملابسه

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والعناصر التي اختار أن يظهر بها، فالجسد "مادة الهويّة والفضاء الذي يمنح نفسه للنّظر والقراءة وتقدير الآخرين"٦٥ وبه تُعَيّن المستضيفة ويُعترف بها وتُحدد بانتماء اجتماعي وبخصلة فريدة. لذلك "كانت عائشة بنت طلحة تقول إذا قيل لها إنّ القوم يريدون الدّخول إليك "ألا قلت لي فألبس ثيابي"٦٦ .

ولأن "الممارسة المظهرية تقع تحت تقييم شهود عيان هم الضيوف فإنّها تتحول بحسب دافيدلو بروتون Le Breton David إلى رهان اجتماعي وإلى طريقة مقصودة لنشر معلومات حول الذات "٦٧ وهذا ما تبيناه ونحن ونترصّد ممارسات المضيّفات في تشكيل أجسادهن قبل الظّهور للضيف باعتباره آخرا متفاعلا معه في سياق اجتماعي مخصوص. ٦٨ يقول عمر وقد نزل ضيفا على فاطمة بنت عبد الملك "فإذا أنا بامرأة على كرسيّ لم أر مثلها قطّ جمالا وكمالا. ويقول عن كلثم "تهيّأت أجمل هيئة وزيّنت نفسها ومجلسها"٦٩.

وباستقصاء النصوص عنّت لنا أمارات كثيرة تكشف تعويل المستضيفات على المظهر الجسدي في استرتيجيات الظهور وذلك من خلال ما كنّ يضعنه على الجسد من أشياء وما يقمن به من حركات رامزة تشكل الجسد وتعيد إنتاجه بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة .

كما أنّ بعض النّصوص تمدّنا بتصريح من الفاعلين على القصد من التجميل وصيانة المظهر ويتمثل أساسا في إثبات الذات والحفاظ على واجهتها القوفمانية كلّف ذلك ما كلّف من جهد وخسائر، يقول الشعبي: دخلت المسجد باكرا وإ ذا بمصعب بن الزبير والناس حوله فلما أردت الانصراف قال لي اتبعني، فدخلت معه فإذا حجلة، فطُرحت لي وسادة فجلست عليها ورفع سجف القبة، فإذا أجمل وجه رأيته قط. فقال: ياشعبي هل تعرف هذه؟ قلت: نعم هذه سيدة نساء العالمين عائشة بنت طلحة. فقال لي: هل رأيت مثل ذلك الانسان قط؟ قلت: لا. قال: أتدري لم أدخلناك؟ قلت: لا. قال: لتحدث بما رأيت، ثم التفت إلى عبد الله بن فروة فقال: اعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فما انصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرفت به عشرة آلاف درهم ونظري إلى عائشة ٧٠".

إنّ ما قامت به عائشة بنت طلحة وزوجها مصعب سلوك مدروس من أجل نجاعة رمزية تفهم في ضوء ما كان سائدا في المجتمع الحجازي آنذاك من تنافس بين سيدات المجتمع لا سيما بين عاتكة وسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ومن أجسادهن كانت العلامات والمعاني تنبثق وتتناثر مؤسسة لتواجدهن الفردي والاجتماعي. لمّا لقيت سكينة بين "منى ومكّة سعيدة بنت عبد الله بن سالم قالت لها: قفي يا بنت عبد الله، فوقفت فكشفت عن بنتها من مصعب، وإذا قد أثقلتها بالحليّ واللّؤلؤ فقالت ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه٧١"

وقد يبلغ من حرص المستضيفات على لفت النظر إلى ما يتّصل بهنّ من جمال، أن يتجاوز الأمر إلباس أنفسهن وقد أبدعن في ذلك٧٢ إلى إلباس جواريهن الملازمات لظهورهن "فقد جعلت جميلة على رؤوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد إلى أعجازهنّ وزيّنتهنّ بأنواع الثّياب المصبّغة ووضعت فوق الشّعور النّيجان وزيّنتها بأنواع الحليّ"٧٣.

وتمثل طريقة جميلة في الظهور" شكلا من الإدراك الدرامي ووعيا بمتطلبات تقديم الذات في الحياة اليومية" من خلال تشكيل الجسد قبل الظهور تشكيلا يمكن أن ندرجه ضمن ما أسماه مرسيل موس "تقنيات الجسد وحركاته وكيفيات استعماله المسننة من أجل نجاعة فعلية أو رمزية تتعلق بكيفيات الفعل للوصول إلى غايات معينة٧٤، وتتمثل الغاية من حسن الظهور في نظرنا في حسن التموقع داخل فضاء الضيافة، لذلك تقوم المستضيفة باعتبارها فاعلا اجتماعيا بصيانة ما تريد أن يراه الآخر وتلمعه وتجميله إذ في إبرازه ولفت النظر إليه لفت النظر إلى مجوعة رساميل وجب إظهارها لعل أهمها رأس مال المظهر الذي يتوجب تدبيره بالأحسن من أجل مردودية حسنة لتجنب الوقوع في الإهمال ٧٥"

ومما لفت انتباهنا في سياق تشكيل الجسد قبل الظهور ثنائية حكمت ملابسات الظهور ومثّلت استراتيجية من استراتيجياته وهي ثنائيّة البروز والاحتجاب، فلئن شاع البروز للضيف وتمّ التعّمد الاشتغال والتفنن فيه فقد كانت عائشة بنت طلحة "لا تحتجب من الرّجال"٧٦، وكانت فضل "تجلس مع النّدماء بارزة على كرسيّ لها"٧٧، فإننا نتبيّن في مقامات أخرى أن استقبال الضيف قد يتم كذلك من وراء ستار، فقد استقبلت هند بنت أسماء جريرا "وجعلت تستنشده من وراء حجاب فدخل عليها وسمع كلامها ولا يراها"٧٨، وكذلك فعلت سكينة لمّا اجتمع في ضيافتها جرير والفرزدق وكثّير ونصيب وجميل، فبعد أن أذنت لهم ودخلوا

عليها "قعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم"٧٩، وهذا الأمر لا يتّصل بالحرائر فقط وإنّما ببعض القيان أيضا، فقد جلست جميلة مرّة فـ"ضربت ستارة وأجلست الجواري كلهنّ"٨٠ في حين أنهن يتعمدن البروز ويشتغلن عليه في سياق ضيافة أخرى. وهذه الثنائية تثبت أن بعض طقوس الضيافة تنشط وتخفت تظهر وتغيب بحسب ما تؤديه من وظائف تماما مثل الضيافة نفسها باعتبارها مؤسسة اجتماعية تنشط وتخفت بحسب الحاجة إليها فبسبب ما عرفت به الخيزران من قضاء حاجات الناس لأنها أم خليفة ما كان بيتها يخلو من الضيافات فقد ورد أن الهادي "كان كثير الطّاعة لأمّه الخيزران مجيبا لها فيما تسأل من الحوائج للنّاس فكانت المواكب لا تخلو من بابها.٨١

ب - في طقوس الجلوس إلى الضيف ومحادثته :

لا شك في أنّ أبرز غايات الضيافة باعتبارها مؤسسة اجتماعية يتمثّل في تحقيق التفاعل بين المتفاعلين وهذا التفاعل يقتضي فهما وانتظارات متبادلة أثناء التواصل وذلك "بمجموع استراتيجيات تتوافق عبرها الأنا والآخر، "٨٢ وهو توافق رمزيّ بالأساس ويستدعي من الفاعلين وسائل معيّنة لتجسيد تلك الإستراتيجيات٨٣ ولعلّ أبرز تلك الوسائل التزام الضيف والمستضيف بجملة من القواعد التي تحدّد لكلّ طرف ما يفعل وما لا يفعل وتمدّه بنظام من الضبط الاجتماعي يسير التفاعل بينهما. ولا يتجسم التفاعل دون محادثة يكون فيها المتحدثون بمثابة الممثلين الذين يعرضون صورا عن أنفسهم متوسلين بأقنعة تتجسم في ممارساتهم أثناء المحادثة.

وتمثل ممارسات المحادثة بحسب النظرة القوفمانية صميم الأداء وجوهر اللعبة المسرحيّة في العملية التفاعلية، وعلى الفاعين في هذه المرحلة حسن الأداء بتمثل قيم المجتمع ومعاييره للحفاظ على ماء يسميه "ماء الوجه" ٨٤.

وتختلف هذه الممارسات من حيث تعلقها بالضيف أو المستضيف. ولكنّها تتّصل في العموم بكيفيات القول وأوقاته وصيغه وأساليب الرّد عليه. وبقدر الالتزام بالمعايير المتّصلة بهذه الممارسات تتحقّق النّجاعة من المحادثة وتتشكّل الصّورة المرجوة منها. وقد أدىّ الدرس لسياقات الجلوس تبيّن نسقين اثنين من الآداب يُستوجب أحدهما على المستضيفة ويتّصل الآخر بالضيف.

ب- ١ آدب السلوك الواجبة على المستضيفة :

- **الترحيب بالضيف :**

يساهم الترحيب بالضيف باعتباره شكلا من أشكال هذا في رفع الحواجز بين الضيف والمستضيف ويقرب مجاليهما ليحصل التفاعل الأيجابي الذي هو غاية طقوس الجلوس إلى الضيف ومحادثته. لذلك تبادر المستضيفة ضيفها بالترحيب وحسن التحيّة والسؤال عن أحواله على النّحو الذي فعلته جميلة لما زارها ابن سريج فأنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها٨٥ وهكذا تتجلى لنا آداب المحادثة طقوسا تواصلية تبني العلاقات الاجتماعية وتقويها لا سما إذا اتصفت بعذب الكلام وبمجمل عبارات المجاملة والحفاوة والبشاشة تقول بوران لإسحاق الموصليّ "مرحبا بك من زائر أتى وليس تلك عادته"٨٦ وقد قالت جميلة لسبيعة لما زارتها "وعزازة لوجهك الجميل"٨٧، كما قالت لنافع بن طنبورة "هات يا نقش الغضار ويا حسن اللّسان"٨٨

- **انتقاء مادة محادثة الضيف وحسن تدبيرها :**

تعكس ممارسات النّساء في المحادثة حرصهن على عرض ذوات مثقفة عالمة يقول إسحاق الموصلي معلقا عما أظهرته بوران لما استضافته من علم وثقافة، "واللّه ما شاهدت من النّساء امرأة تقاربها فهما وعقلا وحلاوة وشكلا وأمّا معرفتها وأدبها فما أظنّ أنّ في الأرض امرأة كان يتهيّأ لها أن تقف من العلوم على مثل ما وقفت عليه"٨٩ " ولعل ثقافة المستضيفات تتضح بشكل أدق في مقام مخصوص من مقامات الضيافة لدى النساء وهو مقام المجالس الأدبية النسائية٩٠ حيث نتبين ثقافة عميقة متعددة المشارب والاختصاصات فقد كات حمنة التي بالغت المصادر في وصف استضافتها للمأمون آدب نساء بني هاشم وأفصحهم لسانا وأقولهم شعرا"٩١. ويقول الموصلي عن عريب "ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أخفّ روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب لشطرنج ولنرد٩٢ ولا أجمع لخصلة حسنة ولم أر مثلها في امرأة غيرها٩٣ .

إنّ هذه الصورة التي تظهر بها المستضيفة أثناء المحادثة تثبت ما توصّلت إليه نظرية الفعل الاجتماعي من أن كلّ سلوك فردي هو سلوك هادف إذ يعمد

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الفاعل إلى عدة وسائل وأنماط سلوك متعارف عليها اجتماعيا لتحقيق هدف وبلوغ غاية وغاية النساء في هذا السّياق فرض التميز والتموقع الذي يبهر الضيف ويأسره داخل النظام الاجتماعي باعتباره ناتجا عن عملية خلق مستمر"٩٤ أداتهن في ذلك مادة محادثتهن وخطابهن عموما "إذ ليس الخطاب مجرد قول يكشف أو يعبر عن ممارسة بل هو نفسه ممارسة وفعل في الواقع يسير وفق قواعد وأولويات تخلق الموضوع وتضع الحدود والموانع والمعايير ٩٥

• صيانة مقام الضيافة وتقويمه:

نستنتج من ممارسات المستضيفات ومجمل أقوالهن رهانهن على تحقيق ضيافة ناجحة رهانا يشير إلى وعيهن بأنّ الضّيافة النّاجحة رأس مال رمزي لديهن لا بد من صيانته والمحافظة عليه وذلك بمتابعة مقام الضيافة والتدخل ببعض الممارسات الوقائية تجنبا لما يمكن أن يفسد أجوء الضيافة ويكدّر صفوها لا سيما عندما يكثر الضيوف وتتنوع مراتبهم، فتعمد المستضيفة إلى زجر من يحاول خرق آداب الضيافة . لما قال ابن سريج لجميلة وقد ابتدأت جارية لها تطارحها: "سبحان الله نحن كنّا أحقّ بالابتداء" أجابته زاجرة :"كلّ إنسان في بيته أمير وليس للدّاخل أن يتأمّر عليه فقال ابن سريج: صدقت جعلت فداك."٩٦ لا يخفى ما في هذا السلوك من سلطة فعلية مارستها المستضيفة لحماية بيتها الذي فتح للآخر إذ تتمثل السلطة بحسب فيبر Max Weber " في احتمال أن يكون أحد الأشخاص الفاعلين في علاقة اجتماعية في موقع يستطيع من خلاله فرض إرادته بالرغم من المعارضة "٩٧

كما نتبين من بعض مقامات الضيافة الأخرى تحول بعض آداب الضياف إلى وسائل قمع وضبط اجتماعي قد يصل إلى حدّ الطّرد من فضاء الضيافة، مثلما فعلت سكينة عندما قالت للفرزدق" أقيموه فأخرج"٩٨ ومثلما فعلت جميلة عندما طردت الأحوص وغلامه "لأنّ الخلل قد عمّ مجلسها لأنّه صار إليها يوما بغلام جميل الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللّحون عن الجواري وخلطن في غنائهنّ فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام"٩٩. إذ لا سبيل إلا إلى القمع باعتباره حسب ماكس فيبر من الوسائل " المشروعة التي تعتمدها السلطة من أجل الحفاظ عل الأمن والاستقرار.

ب-٢ آداب السلوك المُلزمة على الضيف

بتقليب سياقات استضافة النساء نتبين جملة من لأصول والقواعد الّتي وجب على الضيوف التّقيّد والالتزام بها ومراعاتها، في فضاءات تكون فيها النساء مستضيفات وباستقراء ما ورد في هذه السياقات من إشارات إلى ما وجب على الضيوف الالتزام به من قواعد نتبيّن الشّروط التّالية :

• احترام المستضيفة:

نرى المستضيفات صارمات في إلزام ضيوفهن بهذه الآداب مما يثبت سلطتهن ونفوذهن في الفضاءات التي يستضفن فيها وقد يؤدي الإخلال بهذه الآداب إلى مقاطعة الضيف والامتناع عن استقباله مرة أخرى١٠٠، قال الأحوص يوما لمعبد: "امض بنا إلى عقيلة حتّى نتحدّث إليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها معاذا الأنصاري وابن صائد النّجاري، فاستأذنوا عليها جميع، فأذنت لهم إلاّ الأحوص، فإنّها قالت: نحن غضاب على الأحوص١٠١" والأمر نفسه فعلته جميلة مع العرجي "فقد آلت ألاّ تغنّي بشعره ولا تدخله منزلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنّه"١٠٢.

لا يخفى عن أحد ما في هذه القواعد السلوكية من طاقة رمزية معيارية ناجعة في الحفاظ على النظام الاجتماعي للأفراد المتفاعلين من خلال مراقبة سلوكهم وضبط تصرفاتهم كل ذلك إلى جانب أنها وسائل بيد المستضيفات للحفاظ على واجهاتهن ويمكن أن نفهم هذا بحرصهن على رأسمالهن الرمزي يقول بيار بورديو متحدثا عن الرأسمال الرمزي والطبقات الاجتماعية: " لا يمكن للمرء أن يقبل في ضيافته من لا يحظى باحترام كبير دون أن يفقد من احترامه هو "١٠٣

كما نستنتج من هذه القواعد ثنائية قوامها حكمان أحدهما إيجابي وثانيهما سلبي فالايجابي هو الذي تماثل مع قيم الجماعة ومعاييرها مما ضمن للضيف الانخراط والاستحسان من قبل المستضيفة والمنظومة المجتمعية بصفة عامة، أما السلبي فيكمن في موقف الذي اخترق القواعد ولم يمتثل إليها فكان عقاب صاحبه الطرد والاقصاء .

• عدم إفشاء أسرار البيوت :

لئن أبرزت بعض مقامات الضيافة حرص المضيفات على الإعلان عما

شاهدوا حتى تتناقله الألسن لا سيما ألسنة الضيوف من الشعراء الأمر الذي جعل بنتا لعبد الملك بن مروان تعاتب عمر بن أبي ربيعة لأنّها أعدّت نفسها "ومن جواريها ما لم تر الأعين مثلهنّ" ولكنّه لم يقل فيها وفيهنّ الشّعر"١ وجعل مصعبا يجازي الشعبي من أجل أن يتحدث عما شاهد في بيت عائشة بنت طلحة، فإن التامل في سياقات أخرى كشف الحرص على سرية ما يدور في بيوت المستضيفات وعدم إفشاء أسرارها تقول بوران للأصمعيّ لحظة انصرافه "عليك بستر ما كنت فيه فإنّ المجالس بالأمانة"١٠٤

وتثبت ثنائيات الكشف والستر الحجب والبروز في أداب السلوك لدى النساء من خلال طقوس الضيافة ديناميكية هذه الطقوس وارتباطها بنجاعتها في تحقيها الأهداف المرجوة فيشترط التشهير متى دعت إله أسبابه ويفرض الحجب والتكتم متى توفرت غاياته وأهدافه.

ج - في طقوس الهبة ومنح الضيف

ننظر في طقوس آداب السلوك لدى النّساء عند العرب مستنيرين بدراسة مرسيل موس Marcel Mauss١٠٥ للهبات وقد مدّت هذه الدراسة الباحثين في سلوك الأفراد المتفاعلين الكثير من الأدوات المنهجيّة وفتحت أمامهم الآفاق الواسعة لفهم التفاعل وتحليله، وبالتأمل في مدونتنا تبين لنا طقسان أساسيان مرتبطان بمنظومة العطاء يتمثل أولهما في الإهداء وثانيهما في االطعام.

ج-١ آداب إهداء الضيف:

أدىّ تقليب النّصوص الواصفة لسياقات الضّيافة لدى النساء تكرار ممارسة تكاد تختم بها كلّ مقامات الضيافة وتتمثّل هذه الممارسة في تقديم هدية للضيف قبل انصرافه. وبالتّامل في ما يهدى من قبل المستضيفات تبيّنا تعدّد الهدايا وتنوّعها من ناحية واكتنازها بالرسائل الرمزية من ناحية ثانية.

فقد تكون الهدية مالية إذ لمّا استضافت امرأة من بني أميّة نُصيبا وكثيّر والأحوص وأعربت عن تفضيلها لشعر نُصيب "أمرت له بثلاثمائة دينار وحلّتين وطيب ثمّ دفعت إليه مائتي دينار وقالت ادفعهما إلى صاحبيك فإن قبلاها وإلاّ فهي لك ١٠٦ وقد تتكون من الحلل والملابس، إذ لمّا دعت عائشة بنت طلحة نسوة من قريش أجلستهنّ في مجلس، وخلعت على كلّ امرأة منهنّ خلعة تامّة من الوشي والخزّ"١٠٧ كما قد تكون من الحلي فقد "دفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلخالي ذهبا كانا عليها".١٠٨ كما منحت سكينة ابن سريج دملجا من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا١٠٩.

وبالتأمل في الهديا باعتبارها أشياء رامزة تم التعامل بها بين المتفاعلين نتبين أنها "أشياء تقصد بها أشياء أخرى"١١٠ ولعل أهم ما قصد بها اعتبارها وسيلة تميز وتمايز داخل الفضاءات الاجتماعية المتحرك واعتمادها استراتيجية للتموقع وضمان الهيمنة وقد نفهم هذا بجلاء بالنظر في سلوك هند زوج الحجاج فقد قال الحجاج لليلى الأخيلي لما زارته أيّ النّساء تختارين لتنزلي عندها قالت سمّيهنّ لي قال عندي هند بنت المهلّب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبّت حليها عليها حتّى أثقلتها لاختيارها إيّاها ودخولها عليها دون من سواها.١١١

ولئن أثبتت بعض الدراسات أنه لايجوز لا يجب أن تتجاوز الهدية ما يهدي الخليفة لأن ذلك يعتدي على صورته ويستوجب سخطه وغضبه١١٢ فإننا بالنظر في ما قامت به زبيدة أمام الرشيد ما يفند هذا الرأي فإذا ما كان الرّشيد خليفة "لم ير خليفة قبله أعطى منه،" فإنّه تعجّب من كرم زبيدة زوجته إذ قال لها وقد منحت مخارقا ما منحته بعد أن استمعت إلى غنائه "غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا"١١٣ كيف لا يقول ذلك وقد قالت لمسلم خادمها "ادفع إلى ابن جامع لكلّ بيت مائة ألف درهم".١١٤

ونلاحظ بمقارنة مجمل سياقات إهداء الضيف قبل انصرافه أن هذه الهدايا المادية مالا كانت أو حليّا وحللا إنما هي علامات ورموز تواصلت بها المستضيفات لتحقيق أهداف سيرت التفاعل ووجهته بما في ذلك الإهداء.

ج- ٢ آداب إطعام الضيف:

لقد خلصت المقاربات الأنثروبولوجية جلسات الطعام من أن تكون مجرد فرصة لمقاسمة الأكل وإشباع الحاجات البيوولوجة التي يضمنها، وذلك بلفت النّظر إلى التبادلات الرمزية المرافقة لها باعتبارها نسقا من أنساق التواصل المكرّرة والمؤدية إلى وظائف فكلّ ما يصدر عن الأفراد من تصرفات في إطار تفاعلي هو رموز ودلالات يعبرون بها عن أنفسهم حينا وعن حاجاتهم أحيانا أخرى .

وبالتأمّل في الطّعام داخل فضاءات الضّيافة لدى النّساء تبيّنا أن الطعام

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

مجمل الممارسات المرتبطة به علامات رمزية تواصلت بها المستضيفات وتفاعلت تفاعلا واقعيا ورمزيا. وتفهم أوّل دلالاتها من خلال ثنائية حضورهذه الممارسات وغيابها في مجمل مقامات الضيافة. فإطعام الضيف طقس يحضر ويغيب بحسب قصد المستضيفة من الضّيافة وبحسب مكانة الضيف عندها وقربه منها ومدى حاجتها إلي هذه الطقوس أصلا.

وبما أن مؤسسة الضيافة التي نسلّط عليها الضوء باعتبارها مؤسسة اجتماعية، تعج مثلما بيّنا بالطقوس فإن ممارسات الطعام من أهم طقوسها المكررة المنظمة والمشحونة بالرموز المسيرة لعملية التفاعل. "فكل ممارسة إنسانية خاصة إذا كانت جماعية تهدف إلى شيء ما١١٥ لذلك تحفل مقامات الضيافة بالأدلة على حضور طقوس الطعام. زار ابن سريج والغريض ومعبد وحنين سكينةَ "أمرت لهم بالأطعمة فأكلوا".١١٦ .

و ويسير الطعام وفق آداب تنظمه وتسيره ، ومن آداب الطعام التي تبينا ألا تكتفي المستضيفة بالأمر بإعداد الطّعام لضيوفها قائلة: "علي بالمائدة"١١٧ فيأتى بها كأنّها كانت مهيّأة عليها أنواع الأطعمة"١١٨، وإنّما تلحّ عليهم كي لا يتردّدوا في تناول ما قدّم إليهم، حتّى وإن كثر عددهم، فلمّا "دعت جميلة لضيوفها بالسّويق قالت لهم: "أقسمت على كلّ رجل وامرأة دخل منزلي إلاّ شرب"١١٩،

ومن الآداب التي لاحظنا كذلك والتي تدلّ على لطف المستضيفة وحفاوتها بضيوفها تخييرها لهم بخصوص موعد الطعام، إذ لمّا جلس نُصيب وكثيّر والأحوص إلى امرأة من بني أميّة خيّرتهم بين أن يبدؤوا بالغناء أو بالغداء١٢٠، ولما ألحّ الأحوص على عمر وابن أبي عتيق كي يشربوا في مجلس لجميلة قالت: "من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه، ومن أبى عذرناه ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته."١٢١

وتشارك المستضيفة ضيفها الأكل، ولهذه المشاركة دلالة خاصّة، لأنّها علامة تقرّب منهم وتقدير لهم. يقول الموصليّ عن مشاركته بوران الطّعام في أحد مجالسها "قالت: يا جارية أحضرينا ما عندك فما غابت عنّا شيئا حتّى قدّمت إلينا مائدة لطيفة قد جمع عليها غرائب الطّعام فقالت: إنّ المالحة أوّل الرّضاع، وإنّي لمقسّم القلب لما أرى من ظرفها وعقلها وحسن خفرها وكثرة أدبها، حتّى رفعت المائدة.١٢٢

ولئن بدا الإطعام نسقا مشتركا بين كل الأفراد فأنّ التأمّل في ما كان يدور في بيوت النّساء من مقامات الّضيافة يتبين اختلاف الإطعام من حيث مادّة الأكل والممارسات الملازمة له وذلك بحسب مراتب الضيوف ومنازلهم والغاية من استضافتهم. لذلك قد يتعدى الأمر مجرد مقاسمة الضيف الطعام إلى إطعامه بيدها تعبيرا عن إكرامها وتبجيلها له، إذ لمّا دخل الكميت مثلا على فاطمة بنت الحسين١٢٣ أطعمته بيدها"١٢٤. موضحة هذا التبجيل قائلة : "هذا شاعرنا أهل البيت"

وتختلف موائد الطعام لدى المستضيفات من النساء كذلك بحسب ما يعرض عليها من أطعمة فبعض الموائد بسيطة لا تتعدى السويق وبعضها متنوّعة تنوعا جعل أحد الضيوف يقول "وأحضر الغداء فتغدّى القوم بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرّطبة واليابسة ثمّ دعت بأنواع من الأشربة.١٢٥ أما بعض الموائد الأخرى ففخمة فاخرة على النحو الذي نلاحظ عند استضافة بوران للمأمون ويحيى بن الأكتم فدعت لهما "بمائدة من الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فقدّمت ووضعت عليها الأواني الغريبة، فقال المأمون: ما طعمت مثل هذا الطعام قطّ. ثمّ دعت بالطست والإبريق فغسلا أيديهما ثمّ أمرت بشراب فقدّمت إليهما قناني الزّجاج الشامية المرتفعة الصافية البلور فيها شراب قد أتت عليه الأيّام والأعوام فهي تحكي الهواء لرقّتها والياقوت لحمرتها والزّنجبيل لحدّتها، ووضعت بين أيديهما مع أقداح وأنطال تشاكل ذلك. فقال المأمون والله ما رأيت مثل هذا قطّ. ١٢٦.

تمكننا النظرية التفاعلية من فهم هذه الفخامة والنفاسة لمائدة الطّعام باعتبارها رمزا من الرموز الدالة عن طبيعة التفاعل ومقاصده وبناء عليه فهي تندرج في سياق استراتيجيات المستضيفات في عرضن ذواتهن لأن قيمة الطعام على المائدة لا تكمن فقط في الأكل وإنما في ما يشير إليه منمعلومات عن مكانة المستضيفة وموقعها داخل النظام الذي تنتمي إليه.

لا شك في أنّ عوامل كثيرة تجمع بين مجمل الممارسات في طقوس الإهداء وطقوس الإطعام باعتبارهما من طقوس الهبة والمنح للضيف لعلّ أهمّها نجاعة وظيفتهما التفاعلية وهما يفرضان رفع الحواجز بين الضيف والمستضيف إلى جانب انتمائهما إلى منظومة العطاء بما تفرضه من ترابط لالتزامات ثلاثة تتمثل

في العطاء وقبول العطاء والرد عليه بإعادة الغرض نفسه أو ما يوازيه أو ما هو أثمن منه ١٢٧ وقد لاحظنا تشكل قيمة الهدية ومائدة الطعام بحسب ما ينتظر من الضيف من مقابل مادي أو معنوي مثل كسب الولاء بالنسبة إلى البعض و عرض صورة نيرة للمستضيفة تحفظ ماء وجهها وتفرض تميزها في الفضاء الذي تتفاعل فيه بالنسبة إلى البعض الآخر.

الخاتمة :

لقد كان مطمح هذا البحث إعادة قراءة مصادر التراث الأدبي والنبش في نصوصه الناقلة لآداب السّلوك من خلال ممارسات النّساء في حياتهن اليومية وذلك لمقاربتها في ضوء النظريات والمناهج الحديثة قصد نفض الغبار عن الموروث ودرء ما علق به من أحكام مسبقة لاسيما ما اتصل فيه بالنساء وقد أدى البحث إلى نتائج كثيرة لعل أهمها:

- كشف البحث عن تكرار هذه الآداب في الحياة اليوميّة للنّساء تكرارا منظّما رامزا مّما جعلنا نعتبرها طقوسا اجتماعيّة منظّمة للممارسات والفضاءات التي تتحرّك فيها النّساء في المجتمع العربي القديم لأنها تسير تواصلهن ومجمل أشكال تفاعلهنّ.
- بدت لنا الضيافة التي لا يخلو منها بيت من بيوت النساء قديما وحديثا مؤسسة اجتماعية تعج بالممارسات والطقوس الدالة على آداب السلوك، وبتسليط الضوء عليها تبينا أنها نسق كلي يتكون من أنساق فرعية لها جميعا هياكل خاصة ووظائف تميزها إلا أنها تشترك كلها في ما تمد به المتفاعلين من وسائل ضبط تنظم العلاقات وفق ثنائيات الحسن والقبيح المطلوب والمرفوض
- رغم اتصاف طقوس آداب السلوك بالانتظام والتكرار ممّا من شأنه أن يوحّد الجماعة المتفاعلة إلا أن الاشتراك فيها لم يمنع النساء من التميز والتمايز في ممارسة هذه الطقوس وذلك بحسب غاياتهن من التفاعل فبدت لنا الطقوس ديناميكية متغيرة بحسب استراتيجيات التواصل وقد بينت الدراسة أن هذه الاسترتيجيات تتراوح بين بناء العلاقات حينا وترميمها حينا آخر والاحتماء منها أحيانا أخرى إلى جانب التوسل بها لعرض الذات بما يناسب الدور ويحفظ الواجهة في العملية التفاعلية .
- أدى البحث إلى اكتشاف كثرة طقوس آداب السلوك لدى النساء وتنوعها وقد شمل بعضها ممارسات تتصل بالفضاء وهندسته وبعضها بالجسد وتقنيات الظهور به وتعلق بعضها الآخر بكيفيات الحديث وأشكاله وأوقاته واختص غير ذلك بالهبة والعطاء ... غير أن الذي يجمع بين كلّ هذا أمران :

أولا تمشهد كلّ طقوس آداب السلوك الحياة اليومية للنساء باعتبارهن فاعلات يؤدين أدوارا يعبرن بها عن شخصياتهن ويؤسسن بها حياة اجتماعية قوامها التفاعل والأنس.

ثانيا تضبط هذه الطقوس التفاعل بين النّساء وبقية الأفرد بضوابط تحميهن كما تحمي الآخر المتفاعل معه و" لأنّ الإنسان حيوان اجتماعي معقّد لا يمكنه أن يعيش بمفرده ويحتاج الى بني جنسه من حوله فإن الايتيكيت وآداب السلوك تساعدنا على منعنا من إيذاء بعضنا البعض حتى نتمكن من البقاء معا١٢٨

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الهوامش

١ - الأغاني ،٢ / ٥٧١ و الشّعر والشّعراء ٢/ ٤٥٩ .

١ -حظيت الحياة اليومية باهتمام كبير من قبل الدّارسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، اهتماما أخرجها من دائرة التافه و الرتيب الهامشي إلى دائرة المركزي لفهم التاريخ والثقافات وهي ليست مجرد ممارسات متكررة وإنما هي أنساق دالة كنسق الطعام ونسق الشراب ونسق وقد ساهمت نظريات متنوعة وومناهج متعددة في مقاربة الحياة اليومية ذكرت الأستاذة سهام دبابي ميساوي أهمها وأشهرها وفي محاورة "مؤمنون بلا حدود" والمعنونة ب: أهمية ومنهج دراسة الحياة اليومية. الرابط

https://www.mominoun.com/articles/

سهام-الدبابي-الميساوي-أهمية-ومنهج-دراسة-الحياة-اليومية-٤٠٠٠

٢ - يعود الفضل في الاهتمام بالأنساق إلى الأنثروبولوجيا البنيوية وأشهر أعلامها كلود لفي ستراوس Claude Lévi-Strauss والذي يرى أن العبرة في دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية إنما هي الوصول إلى العلاقات القائمة فيما بينها، أنساق اتصلت بما يعيشه الانسان في حياته اليومية وما يتواصل به من الأشياء المادية ومن هذه الأنساق ما اتصل اطعام والشراب والسفر واللباس والعلاج.. زكريا إبراهيم مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٥.

٣ - نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدراسات التي أنجزت حول أنساق الانفعالات التي يعيشها الانسان في حياته اليومية مثل الفرح والتعب و وأنساق الأنشطة مثل الطعام والشراب والتحية ودخول الحمام وهي دراسات كثيرة تتبعت الظواهر ودرست كيفياتها فتوصلت إلى أنها كلها أنساق يومية دالة . انظر على سبيل المثال لا الحصر الدبابي الميساوي سهام الطعام والشراب في التراث الاسلامي منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة تونس، ٢٠٠٥

٤ - اليحياوي شهاب المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي الرابط

http://anfasse.org/index.php/٥٤١٩/٢١-٣١-١٨-٠٥-١٢-٢٠١٠/٥٩-٣٣-٠١-٢٧-١٢-٢٠١٠concepts-base-espace

تاريخ النشر ٣١ ماي

٥ - نعني خاصة كتب الأدب والأخبار ومن أهمّها كتاب "الأغاني" و"العقد الفريد" و"عيون الأخبار" و"البيان والتّبيين" و"الكامل في الأدب" و"خزانة الأدب" و"الموشّى" و"الأوراق" و"الأمالي" وعلى الكتب الخاصّة بالنّساء مثل "الحدائق الغنّاء" و"بلاغات النّساء و"الدرّ المنثور" وعلى المنتخبات الشّعريّة مثل "أشعار النّساء" و"شاعرات العرب"

٦ - مفردها طقس وهو ضرب من الممارسات الرمزية المنظّمة التي ينخرط فيها النّاس جميعهم بكثافة وبمختلف فئاتهم، وتكاد لا تخلو منها أفعالهم الجماعية الفردية ولئن أشارت لفظة طقس المتأتية من"Rite" في اللاتينية من "Ritus" إلى الكيفية التي يتمّ بها أداء الأنشطة المقدّسة وتنظيمها في إطار احتفالي فإنّ مجال الطقوس يشمل أيضا إلى جانب ذلك الأنشطة والممارسات غير الدينية بما في ذلك الأنشطة الاقتصادية والسياسية والرياضية، وأفعال التواصل والتبادل التي تتمّ بين الأفراد في معيشهم اليومي انظر المحواشي منصف،الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، الرابط

https://journals.openedition.org/insaniyat/٤٣٣١

٧- اللسان مادة أ، د، ب.

٨ - من بين هذه السياقات نذكر: آداب التحية، أداب تربية الأبناء، أداب السفر، آداب النكاح .....

٩ - مثل فئة الملوك، الأمراء، الأبناء، النساء.....

١٠ - ساهم الخطاب الديني الاسلامي في ضبط هذه المعايير من خلا ما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحكام والأحاديث الداعية إلى حسن السلوك مثل قول الرسول " تبسمك في وجه أخيك صدقة، صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين "

١١ - ويكيبيديا معنى آداب سلوك الرابط:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٢%D٨%AF%D٨%A٧%D٨%A٨-٨(%D٨%AB%D٨%٤٩%D٨%٨٣%٩)

١٢ - يقابل آداب السلوك في الغة الفرنسية مصطلح Étiquette وقد تعرب هذا المصطلح بـ: إيتيكيت وصار بدوره يستعمل في اللغة العربية ليدل على آداب السلوك والالتزام بالذوق.

١٣ - بوهاها عبد الرحيم ، قراءة في كتاب طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة دار الانتشار العربي، ٢٠٠٩، بيروت ص ٣٠٩.

١٤ - Dominique Picard Les rituels du savoir-vivre .ed SEUIL p١.

١٥ - انصب الاهتمام في البداية على الطقوس الدينية لا سيما مع إيميل ديركايم في كتابه الأشكال الأولية للحياة الدينيةLes Formes élémentaires de la vie religieuse، حيث توصل إلى " أن الدين هو نظام موحد من المعتقدات والممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة" ثم تتالت الدراسات المنبهة إلى الطقوس باعتبارها ظاهرة اجتماعية تنظم الحياة وتسيرها من خلال جهود كثيرة لأنثربولوجيين وعلماء اجتماع.

١٦ - لعل أشهر الأعمال في هذا السياق هي أعمال أرنولد فان جنب Van Gennep عندما درس طقوس العبور في كتابه Rite of passage وفيه أثار ما تشترك فيه المجتمعات كلّها من ممارسات طقسية يقبرون بها مراحل من حياتهم ويؤسسون لمراحل أخرى مثل الموت و الزواج انظر

Van-Gennep، Arnold، les rites de passage، Paris، Ed. Picard، ١٩٨١.

١٧ - http://alphasociologie.blogspot.com/٠٣/٢٠١١/les-rites-comme-actes-dinstitution.html

١٨ - كان ذلك خاصة منذ نشر نوربرت إليلس Norbert Elias أعماله عن الحضارة فبعد أن حلل ما كتب في أروبا حول الأخلاق من القرن الثالث عشر إلى القرن والتاسع عشر توصل إلى تغير المفاهيم الأخلاقية بتغير البنى الاجتماعية للأفراد أنظر للمزيد حول الموضوع:

Norbert the civilizing process. ed . E.Dunning .Malden: Blachwell publishers. Elias

١٩ - Evers، A. (٢٠١٣)،Lets talk about manners، In: The Australian Sociological Association (TASA) Conference (٢٠١٣).

٢٠ - حظيت الحياة اليومية everyday life باهتمام كبير من قبل الدارسات الاجتماعية والأنثروبولوجية اهتماما أخرجها من دائرة التافه و الرتيب الهامشي إلى دائرة المركزي لفهم التاريخ والثقافات وهي ليست مجرد ممارسات متكررة وإنما هي أنساق دالة كنسق الطعام ونسق الشراب ونسق وقد ساهمت نظريات متنوعة وومناهج متعددة في مقاربة الحياة اليومية ذكرت الأستاذة سهام دبابي ميساوي أشهمها وأشهرها وفي محاورة "مؤمنون بلا حدود" والمعنونة ب: أهمية ومنهج دراسة الحياة اليومية.الرابط

https://www.mominoun.com/articles/

سهام-الدبابي-الميساوي-أهمية-ومنهج-دراسة-الحياة-اليومية-٤٠٠٠

٢١ - Evers، A Lets talk about manners،

٢٢ - الطقوس السلبية هي التي تصلح التفاعل وترممه عند انتهاك القواعد وعند انتهاك مجال الذات، أما الطقوس الايجابية فهي التي تثبت التفاعل تسيره وتيسره ،الدبابي سهام ،في مقاربات الطقوس، الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=idfnbbqHD٥Q

٢٣ - انظر حول عرض الذات في الحياة الاجتماعية :

Goffman، Erving، La Mise en scène de la vie quotidienne، t. ١، La Présentation de soi، éd Minuit

٢٤ - Dominique Picard Les rituels du savoir vivre p١.

٢٥ - الدبابي سهام في مقاربات الطقوس

٢٦ -تشمل العديد من االاتجاهات في علم الاجتماع والتي ترى ان الرمزية أساس الحياة الاجتماعية للأفراد وأن كل التمظهرات الإجتماعية تردّ إلى الرمزية التي تسمح لمتعدّد الوعي الفردي مثلما الجماعي بالفهم المتبادل والتواصل. إذ يستدعي التفاعل وسائط هي الرموز التي تتواصل عبرها الأنا مع الآخر من اهم أعلام هذا الاتجاه مارسيل موس دوركايم وهربارت ميد ...

٢٧ -Karl Thomson The presentation of the Self in Everyday Life – Extended Summary

https://revisesociology.com/١٢/٠١/٢٠١٦/the-presentation-of-the-self-in-everyday-life-a-summary/

٢٨- نفسه.

٢٩ – الأصفهاني أبو الفرج كتاب الأغاني، شرح سمير جابر وعبد الأمير مهنّا، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، د ت. ، ٣٦٦/١

٣٠ – المصدر نفسه، ٣٦٨/٨.

٣١ – مثلما فعلت سكينة لمّا دعت عزّة الميلاء إلى مجلسها فبعثت إليها بأشعب وقالت له "اذهب إلى عزّة الميلاء فأقرئها منّي السّلام واعلمها أنّ عبيدا عندنا فلتأتنا متفضّلة بالزّيارة

٣٢ – مثلما فعلت جميلة عندما وجّهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره فقالت لكاتب أملت عليه "بأبي أنت وأمي اقدرك يجلّ عن رسالتي وكرمك يحتمل زلّتي، وذنبي لا تقال عثرته ولا تغفر حوبته، فإن صفحت فالصّفح لكم معشر أهل البيت يؤثر والخير والفضل كلّهم فيكم مدّخر، ونحن العبيد وأنتم الموالي فطوبى لمن كان لكم مقاربا وإلى وجوهكم ناظرا وطوبى لمن كان لكم مجاورا وبعزّكم قاهرا و بضيائكم مبصرا والويل لمن جهل قدركم ولم يعرف ما أوجبه الله على الخلق لكم فصغيركم كبير، بل لا صغير فيكم وكبيركم جليل بل الجلالة الّتي وهبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورة عليكم، وبالكتاب نسألك وبحقّ الرّسول ندعوك إن كنت نشيطا لمجلس هيّأته لك لا يحسن إلاّ بك ولا يتمّ إلاّ معك ولا يصلح أن ينقل عن موضعه ولا يسلك به غير طريقه. الأغاني، ٣٨٠/٨.

٣٣ – مثلما فعلت عنان عندما دعت أبا نوّاس وحسن بن الضّحاك وفضل الرّقاشي وعمر الورّاق وحسين الخيّاط فقالت [المجتثّ]:

مَهْلًا فَدَيْتُكَ مَهْلاً عِنَانُ أَحْرَى وَأَوْلَى
بِأَنْ تَنَالُوا لَدَيْهَا أَشْهَى الطَّعَامِ وَأَحْلَى
فَإِنَّ عِنْدِي حَرَامًا مِنَ الشَّرَابِ وَحِلا

ابن الجوزيّ أبو الفرج : ريّ الظّما فيمن قال الشّعر من الإماء، تحقيق ودراسة عبد الرّحمان محمّد الوصيفي، مكتبة الآداب بيروت، دت. ص ٨٠.

٣٤ – الإتليدي محمد إعلام النّاس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، ص ٣٣٢.

٣٥ – المعافري علي المالقيّ: الحدائق الغنّاء في أخبار النّساء، تحقيق عائدة الطّيبي، الدّار العربيّة للكتاب ليبيا، تونس، ١٩٧٨. ص ٩٩.

٣٦ – الأغاني، ١٩٦/١.

٣٧ – الأغاني، ١٢٨/١١.

٣٨ – المصدر نفسه، ٣٧٨/٨.

٣٩ – إذ تجنب طقوس الإعداد ما يمكن أن تسببه الزيارة المباغتة للمستضيف من حرج لأنها بمثابة الفرصة لتدبر الفضاء ثبل الظهور للضيف. ومن هنا تظهر مكانة الحجابة والاستئذان

٤٠– محمدي عبد القادر سيميائيات الجسد في طقوس كناوة بحث في الهوية والامتداد

http://www.zahratachark.com/٠١/٠٥/٢٠١٧/%d٨b%٣d%٨٥%٩d٨%٩a%d%٨a%٧d%٨a%٦d٨%٩a%d%٨a%٧d%٨aa-%d%٨a%٧d%٨٤%٩d%٨ac%d%٨b%٣d%٨af-%d%٨١%٩d٨%٩a-%d%٨b%٧d%٨٢%٩d%٨٨%٩d%٨b%-٣d%٨٣%٩d%٨٦%٩d%٨a%٧d%٨٨%٩d%٨a%٩d%٨a%٨d%٨ad%d%٨ab-%d%٨١%٩d٨%٩a-%d%٨a%٧d%٨٤%٩d٨٧%٩/

٤١ – عباس فريال مراسم الزواج بمدينة قسنطينة مقاربة أنثروبولوجية، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، الرابط:

https://journals.openedition.org/insaniyat/٤٤٥٠

٤٢ – نهاية الأرب، ٥١/٥.

٤٣ – اليحياوي شهاب المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي

٤٤ – les rituels du savoirs vivre p ١.

٤٥ – ابن خلّكان أبو العبّاس: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، ١٩٧٨ .١٠/ ٣٦٩.

٤٦ – نهاية الأرب، ٥١/٥.

٤٧ –انظر تفاصل الفضاء في نهاية الأرب ٥١/٥. وما بعدها

٤٨ – les rituels du savoirs vivre

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٤٩ – تحفة المجالس، ص ١٢٥.

٥٠ – الأغاني،١١/ ١٢٤.

٥١ – الأغاني، ٢/ ٣٦٦.

٥٢ – إعلام النّاس، ص ٣٣٢.

٥٣ – السّيوطى جلال الدّين: تُحْفَةُ المُجَالِسِ وَنُزْهَةُ المَجَالِسِ مطبعة السّعادة مصر، ط ١ ١٩٠٨، ص ١٢٤.

٥٤ – الأغاني، ٣٥/٧.

٥٥ – المصدر نفسه، ١٦٦/١.

٥٦ – المصدر نفسه، ١/ ٢٧٩.

٥٧ – الأغاني، ٣٧٨/٨.

٥٨ – المصدر نفسه.

٥٩ – إعلام النّاس، ص ٣٣٢.

٦٠ – اليحياوي رشيد المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي

٦١ – مروج الذّهب، ٣٢٢/٣.

٦٢ – بورديو بيار :الرمز والسلطة ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر المغرب ط ٣، ٢٠٠٧.

٦٣ – اليحياوي رشيد المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي

٦٤ – لقد ظل موضوع الجسد body لمدة طويلة غائبا مهمشا في الدراسات والأبحاث وكان الاهتمام كله منصبا على الروح وعلى العقل إلى أن ظهر علم اجتماع الجسد الذي جعل منه مادة أساسية في الدراسة والتحليل ولفهم الأمور من خلال العلاقة الجدلية بين الجسد والأنظمة المجتمعية لا سيما بعد صور مجلة Body& Society سنة ١٩٩٥. حيث تحول الجسد إلى إلى قضية اجتماعية أكاديمية استأثرت بالكثير من الاهتمام ومنمن أهم مشاغل علم اجتماع الجسد الطرق التي " تشكل بها الحياة الاجتماعية أجساد الأفراد وتتشكل بها وهو ليس مجرد وعاء وإنما هو فاعل اجتماعي حقيقي و" مادة الهوية على المستوى الفردي والجماعي والفضاء الذي يمنح نفسه للنظر والقراءة وتقدير اللآخرين " انظر المزيد حول هذا الموضوع لوبروتون دافيد سوسيولوجيا الجسد ترجمة: عياد أبلال – إدريس المحمدي روافد للنشر والتوزيع ، ط ١، القاهرة، ٢٠١٤.

٦٥ – لوبروتون دافيد سوسيولوجيا الجسد ترجمة: عياد أبلال – إدريس المحمدي روافد للنشر والتوزيع ، ط ١، القاهرة، ٢٠١٤. ص ١٦

٦٦ – الحدائق الغنّاء، ٣/ ٥٨.

٦٧ – سسيولوجيا الجسد ص ١٦

٦٨ –Barthes R : Systeme de la mode ، paris Ed. du seuil.١٩٦٧.

٦٩ – الأغاني، ٢١٠/١.

٧٠ –ابن قتيبة عيون الأخبار ، كتاب النساء، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٢٥ ٣/ ٢١

٧١ – المصدر نفسه، ٩٩/١٦.

٧٢ – ومن وسائل الزّينة الّتي عمدت إليها المستضيفات في العصر العبّاسيّ، تزيين ملابسهنّ بالشّعر المكتوب "فزركشن الملابس ونقشن على العصائب والزّنانير والمناديل والنّعال أبيات الغزل وذلك باستعمال أنواع من الطّيب مثل الخلوق فقد كتبت عريب بالذهب على وشاح لقميص لها :

وَإِنِّي لَأَهْوَاهُ مُسِيئًا وَمُحْسِنًا وَأَقْضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالَّذِي يَقْضِي

فَحَتَّى مَتَى رَوْحُ الرِّضَى لاَ يُنَالُنِي وَحَتَّى مَتَى أَيَّامُ سُخْطِكَ لاَ تَمْضِي

أمّا عنان فقد كتبت على عصابتها [البسيط]

الكُفْرُ وَالسِّحْرُ فِي عَيْنَى إِذَا نَظَرَت فَاغْرُبْ بِعَيْنَيْكَ يَا مَغْرُورُ عَنْ عَيْنِي

الموشّى، ٢٨٥.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٧٣ – نهاية الأرب، ٥١/٥.

٧٤ – سسيولوجيا الجسد ص٨٥.

٧٥ – نفسه

٧٦ – الحدائق الغنّاء، ٦١/٤.

٧٧ – ريّ الظّما، ص ١٣١.

٧٨ – مروج الذّهب، ١٦٠/٣.

٧٩ – الأغاني، ١٨٠/١٦.

٨٠ – المصدر نفسه، ٣٧٤/٨.

٨١– مروج الذهب ١٨٦/٤.

٨٢ – sumph (J.)، Hugues (M)، Dictionnaire de la sociologie، paris Larousse، ١٩٧٣، p. ٦٧.

٨٣ المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي

٨٤ – يعتبر قوفمان المجتمع مسرحا يوميا تؤدى فيه الأدوار منتظمة وفق طقوس تفاعلية لا تستو الحياة الجماعية بدونها وضمن هذه اللعبة يملأ كل فرد موقعا له ضمن مسرح المكانات محافظا خلال ذلك على مقامه ومكانته أو على ما يسمّيه "قوفمان" بـ"ماء الوجه". فالمحافظة على هذا "الماء" أساسية ضمن قواعد التفاعل البشري، والحياة الجماعية إنّما تنهض على ضروب من المجازات المسرحية (métaphores théâtrales) التي تؤدى وفقها التفاعلات في الحياة اليومية انظر المزيد حول هذا الموضوع الطقوس وجبروت الرمز و

Goffman، Erving، La Mise en scène de la vie quotidienne، t. ١، La Présentation de soi، éd Minuit

٨٥ – الأغاني ٢١٣/٨

٨٦– تحفة المجالس، ص ١٢٤.

٨٧– الأغاني، ٣٧٧/٨.

٨٨– انظر تفاصيل هذا المجلس، في المدوّنة ص ٥٢.

٨٩– العقد ٤٥٧/٦.

٩٠ – انظر الحراثي هاجر ظاهرة المجالس الأدبية النسائية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي دار دجلة الأردن ٢٠١٨.

٩١– إعلام النّاس بما وقع للبرامكة، ص ٣٣٢.

٩٢ – النّرد: شيء يلعب به، فارسيّ معرّب، اللّسان مادة]ن، ر، د[.

٩٣ – الأغاني، ٦٢/٢١.

٩٤ – بورديو بيار الرمز والسلطة. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، مكتبة طوبقال ، ص ٦٨.

٩٥ – Foucault Michel lordre du discours Paris gallimard١٩٧١ p ١٢

٩٦ – المصدر نفسه ، ٨/ ٣٦٤ .

٩٧ – فيبير ماكس

٩٨ – المصدر نفسه، ١٦/ ١٨٠ .

٩٩– المصدر نفسه.

١٠٠– مثلما فعلت جميلة عندما "ألت ألاّ تغنّي شعر العرجيّ ولا تدخله منزلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنّه المصدر نفسه، ٣٨٢/٨ .

١٠١– الكامل في الأدب واللّغة، ٣٣٢/١.

١٠٢ – المصدر نفسه، ٣٨٢/٨.

١٠٣ – الرمز والسلطة ص ٦١.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

١٠٤- المرجع نفسه.

١٠٥ - انظر

Marcel Mauss Essai sur le don Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques

- الأغاني١٠٦/١, ٢٧٩

١٠٧- المصدر نفسه، ١٢٤/١١.

١٠٨- المصدر نفسه، ٣٠/١٧.

١٠٩- المصدر نفسه، ٣٤/١٧.

١١٠ -بورديو بيير الرمز والسلطة ص ٥١.

١١١- المسعودي أبو الحسن على) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بيلاّ، منشورات الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، ٢٧٨/١٩٨٣٣

١١٢- المولهي يسر المولهي يسر طقوس العباسيين طقوس العباسيين في الذخائر والتحف لابن الزبير انظر الرابط

https://www.bing.com/videos/search?q=%d٨b%٧d%٨٢%٩d%٨٨%٩d%٨b%+٣d%٨a%٧d%٨٤%٩d%٨b%٩d%٨a%٨d%٨a%٧d%٨b%٣d%٩٨a%d٨%٩a%d٨٦%٩&src=IE١١TR&pc=HRTS&ru=٢%fsearch٣%fq٣%d٢٥%D٢٥%٨B٢٥%٧D٢٥%٢٥٨٢%٩D٢٥%٢٥٨٨%٩D٢%٨٥B٢%٣b٢٥%D٢٥%٨A٢٥%٧D٢٥%٢٥٨٤%٩D٢٥%٨B٢٥%٩D٢٥%٨A٢٥%٨D٢٥%٨A٢٥%٧D٢٥%٨B٢٥%٣D٢٥٨%٩A٢٥%D٢٥٨%٩A٢٥%D٢٦%٢٥٨٦%٩form٣%dPRHPR٢٦%١src٣%dIE١١TR٢٦%pc٣%dHRTS&view=detail&mmscn=vwrc&mid=٥B٦٩AE٨٧٩٩٠٨٢FA٥٢٢C٧٥B٦٩AE٨٧٩٩٠٨٢FA٥٢٢C٧&FORM=WRVORC

١١٣- انظر بقيّة التّفاصيل في المدوّنة ص ١٦٩.

١١٤- المصدر نفسه .

١١٥ Cazeneuve، Jean، Sociologie du rite: tabou، magie، sacré، éd. P.UF.، ١٩٧١، p.١٠.

١١٦- الأغاني، ٥٦٩/٢.

١١٧- المصدر نفسه، ٤٥٥/٤.

١١٨- المصدر نفسه.

١١٩- المصدر نفسه، ٣٧٨/٨.

١٢٠- المصدر نفسه، ٢٧٩/١.

١٢١- المصدر نفسه، ٣٦٦/٨.

١٢٢- العقد الفريد، ٦ /٤٥٧.

١٢٣ - فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، تابعيّة، من راويات الحديث. روت عن جدّتها فاطمة مرسلا، وعن أبيها وغيرهما، ولمّا قتل أبوها حُملت إلى الشّام مع أختها سكينة، وعمّتها أمّ كلثوم بن عليّ، ولدت (٤٠هـ/ ٦٦٠م) وتوفّيت (١١٠هـ/٧٢٨م) ، الأعلام ١٣٠/٥.

١٢٤- المصدر نفسه، ٢٥/١٧.

١٢٥- الأغاني، ٣٦٦/٨.

- إعلا الناس بما وقع للبرامكة ص ٣٣٢. ١٢٦

١٢٧ Marcel Mauss، « Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques »، in Sociologie et anthropologie، Paris، PUF، ١٩٥٠ Extrait de L'Année sociologique، seconde série، t. ١، ١٩٢٣-٤

١٢٨ Puttaraj A. Choukimath Role of Etiquette and Manners in Communication Conference: on Communication Skills for Digital Age Libraries https://www.researchgate.net/publication/٢٦٧٤٧٧٨٠٦Role-of-Etiquette-and-Manners-in-Communication